عصر الغياب

الطبعة الأولى – عن النخبة للطباعة والنشر والتوزيع

Elnokhbapublish.com

1441 هـ – 2020 م

رقم الإيداع: 7436 / 2020

الترقيم الدولي: 2 – 480 – 838 – 977 – 978

الكتاب: عصر الغياب

المؤلف: حسن الموسوي

جميع حقوق الطبع محفوظة للناشر

النخبة للنشر والطباعة والتوزيع

6 شارع رجاء عبدالرسول، المتفرع من شارع وادى النيل

أمام سور نادى الزمالك– الجيزة – مصر – 01288688875

E-mail: alnokhoba@gmail.com

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو أية وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات، واسترجاعها من دون إذن خطي من الناشر.

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الناشر

طبع في مصر

عصر الغياب

حسن الموسوي

النخبة
للنشر والطباعة والتوزيع
2020

الإهداء

إلى بناتي

.. أثمار

.. آيات

.. أكرام

أهدي هذا العمل

رحلة إلى عوالم مختلفة

1

في صالة الفندق... وقفت متأملا تلك اللوحات التي زينت المكان وكانت جزءا من تراث ذلك الفندق.

مثلت تلك الصور والتي وضعت بنسق جميل لشخصيات مهمة لعبت دورا مهما في تاريخ العراق الحديث.

تطلعت في الوجوه التي بدأت ترقبني بحذر، سرت بخطوات ثابتة نحو المرآة والتي احتلت أعلى زاوية من الركن الأيمن للصالة، صففت شعري، عدلت من هندامي، انه اليوم الأول لي في مدينة بغداد والتي وصلتها بعد ان تركت قريتي باحثا عن فرصة عمل تتناسب ومؤهلاتي.

كان استحقاقي هو ان اتعين معيدا في نفس الجامعة التي تخرجت منها كوني الأول على الجامعة وعلى هذا الأساس قدمت طلبا على أمل أن يظهر اسمي في قوائم التعيين.

في الأيام الأولى لوصولي إلى العاصمة، لم أكن راغبا بالإحتكاك في العالم الخارجي لذلك إنطويت على نفسي زاهدا عن الدنيا ماعدا شيء واحد فقط كنت مقبلا عليه وبشغف

انه صديقي الكتاب

مكتبتي المتواضعة كانت رفيقة سفري فأينما اذهب كانت تذهب معي وقد سعدت انا أيضا بهذه الرفقة الجميلة.

في البداية ترددت كثيرا قبل أن أكتب تلك الأحداث لما فيها من خيال قد لا يصدقه الكثيرون، لكن ومن باب الأمانة وبعد إلحاح أصدقائي ممن رويت لهم تلك الأحداث والذين طالبوني بكتابتها كي لا تضيع تلك الأحداث وتصبح منزوية مركونة على رفوف النسيان.

في صباح شتائي تراكمت الغيوم في عنان السماء، بدأ الرعد ينشر الرعب بصوته الهادر فيما رسم البرق لوحات فوضوية في كبد السماء.

انهمر المطر بغزارة مما شكل بركا للمياه في ذلك الشارع الواقع في قلب مدينة بغداد حيث تكثر فيه الفنادق ودور السينما المهجورة ومكاتب السياحة والسفر.

انه شارع السعدون والذي أخذ اسمه من اسم رئيس الوزراء العراقي في العهد الملكي عبد المحسن السعدون والذي انتحر في ظروف سياسية غاية في التعقيد منهيا بذلك آماله وتطلعاته بأن يرى العراق بلدا مستقلا وذو سيادة كاملة

نظرت إلى السماء كي اشكرها على هذه النعمة التي تأخرت قليلا هذه السنة، أربك هطول المطر الباعة المتجولين، حيث انشغلوا في حماية بضاعتهم والتي تأثرت كثيرا بفعل الأمطار الغزيرة مما اضطرهم إلى تغطيتها بقطع كبيرة من النايلون فيما لاذوا إلى المحلات المجاورة طلبا للحماية من زخات المطر الكثيفة.

تكررت جولاتي اليومية فالبحث عن عمل في مدينة أغلب شبابها من العاطلين عن العمل كانت كمن يبحث عن إبرة وسط كومة من القش.

لا أعرف لماذا يأتي أبناء المحافظات إلى مدينة بغداد بحثا عن العمل وهي بالكاد تؤمن العمل لأبنائها؟

ألا يستطيع المسؤولين في المحافظات ان يؤمنوا فرص عمل لأبنائهم كي يساهموا في بناء مدنهم والتي تعاني من اهمال

كبيرا وفي كافة المجالات على الرغم من الإيرادات الوفيرة التي يحصل عليها البلد جراء بيع نفطه وبأسعار مرتفعة قياسا لسنوات خلت مع تنامي الإنتاج الوطني.

بمرور الوقت، بدأت أموالي بالنفاد ولحد الآن لم احصل على عمل يتناسب ومؤهلاتي العلمية ويعينني في الفترة التي سأبقى فيها بالعاصمة بإنتظار أمر التعيين

أصبت بإحراج شديد كوني قد أخبرت أهلي بأني سأجد عملا حال وصولي لمدينة بغداد وعلى هذا الأساس قامت والدتي ببيع خاتمها الذهبي والذي ورثته عن أمها بعد ان رفض والدي فكرة ذهابي إلى العاصمة.

في وسط هذا الزحام وفقدان الأمل بالعثور على فرصة عمل باغتني اليأس على حين غرة إلا أنني كنت متفائلا بأن الأيام القادمة سوف تحمل بين طياتها أخبارا سارة.

اتخذت من أريكة على قارعة الطريق مجلسا، بدأت أنظر إلى تلك الأفواج البشرية والتي لا هم لها سوى كسب قوتها اليومي.

ماذا لو توقفت الحياة في هذه المدينة المزدحمة؟

ماذا سوف يحصل؟

الكل مهموم في كسب عيشه، الكل مسرع وكأن يومهم هذا هو الأخير من عمر البشرية.

بدأت سلسلة الأفكار تطرق مخيلتي

ماذا لو حصل الجميع على أموال كافية من غير أن يغادروا منازلهم؟

كأن تقوم الدولة بتوزيع حصة من الإيرادات المتحققة جراء بيع النفط على الشعب كما تفعل دول كثيرة

هل ستصاب هذه المدينة بالشلل أم أن دورة الحياة ستستمر.

جموع البشر كانت أشبه ما تكون بمجاميع من النمل، يسيرون بنسق واحد

ماذا لو أخبرهم أحدهم بأن سليمان وجنوده قادمون إلى واديهم؟

هل سيهربون إلى مساكنهم

أم أنهم سوف يكملون يومهم غير آبهين بالذي يجري من حولهم

في لجة حركة المدينة المضطربة، لفت انتباهي رجلا وقد انتابته نوبة شديدة من الجنون.

في بداية الأمر قام بممارسة حركات متسارعه وهو ينظر إلى الأرض ويتلفظ بكلمات غير مفهومة وكأنه يكلم أحد الساكنين في العالم السفلي.

كانت هذه النوبة من القوة بحيث هرب كل من كان بقربه

يا لهذا المسكين، ما الذي حصل له بحيث وصل إلى هذه المرحلة الحرجة والمخيفة، لعله كان ذا شأن عظيم في يوم ما.

يا لجوهرة العقل التي نمتلكها والتي من غيرها نقترب أكثر فأكثر من الحالة الحيوانية

العقل جوهرة فريدة امتاز بها الإنسان عن سائر المخلوقات ونتيجة لذلك أصبح الإنسان سيد المخلوقات

بعد جولة متعبة، وصلت إلى الفندق الذي أقيم فيه وهو فندق حديث واغلب ساكنيه من أبناء المحافظات الباحثين عن فرص عمل جديدة.

آه لو كان الزمان على شكل عجلة لكان دورانه سهلا، ولما كنا نعاني من كل ذلك الاهتزاز العنيف

2

في الممر المؤدي إلى غرفتي قابلت الحاج محمود والذي بادرني بالسؤال ضاحكا

- هل وجدت عملا

وبحركة من رأسي أشرت إليه بالنفي، ربت على كتفي، أخذ يكلمني عن الصبر كي يمنحني بعض الأمل ولم ينسى ان يذكرني بأنني في نهاية المطاف سوف أحقق كل أحلامي

أخذ بيدي إلى غرفته حيث كان قد اعد شابا مميزا وهو للآن لم يتناول منه بإنتظار مجيئي لنشرب منا.

لاحظ الحاج محمود شرود ذهني، مستفسرا عن سبب عدم ارتياحي وكأني قد خسرت مال قارون كما يحلو له ان يطلق هذا المثل كلما رآني حزينا.

ابتسمت ورويت له قصة ذلك المجنون بكامل تفاصيلها

اعتدل الحاج محمود في مجلسه وقال

- العقل هو قوة تميز بها الإنسان عن سائر المخلوقات وبهذه القوة يستطيع أن يميز خيره من شره والحسن من القبيح.
- ان مسيرة الإنسان تبدأ منه وتنتهي إليه
- هنا قاطعته وسألته عن كيفية وصول إلانسان إلى مرحلة الجنون
- نظر لي الحاج محمود لي مليا وأردف قائلا
- ان لكل إنسان طاقة معينة فمنهم من يتحمل ضغوطات الحياة مهما كانت قاسية ومنهم من يستسلم فينتهي به الأمر إلى الجنون
- لم أستطع أن اكبت مشاعري وحين أخبرت الحاج محمود ان المجنون أفضل منا فهو على الأقل حر في كل شيء وبعيد عن قيود المجتمع

انتفض الحاج محمود ونهرني بشدة مبينا بأننا ننعم بيومنا ونمارس حياتنا بسعادة تامة وان الحكمة هي في مواجهة المشاكل ومصاعب الحياة والانتصار عليها فهذه هي لذة الحياة

لكني استدركت قائلا بأن جميع المشاكل لها حل إلا مشكلتي فهي مستعصية كون والدي قد غضب عني بسبب تركي لقريتنا

- ولماذا يغضب عنك

- لأنه يعتقد بأن في ذهابي إلى العاصمة فإنني انسلخ عن ذاتي وأضيع في تلك المدينة الصاخبة

هنا ابتسم الحاج محمود قائلا بأن الزمن كفيل بإنهاء معاناتي، ولا مجال للأب سوى حب أبنائه

كانت تلك الكلمات كالبلسم المداوي، فعلا كانت كلماته مريحة للغاية، استأذنت منه، بعدها ذهبت إلى غرفتي حيث أوراقي وكتبي

تناولت كتابا من على الطاولة، بدأت بتقليب أوراقه إلا أنني كنت مشغولا بحديث الحاج محمود

هل يسامحني ابي؟

على الفور اتصلت بأمي ومن مكالمتي معها علمت بأن ابي مازال غاضبا عني لأنه رفض مكالمتي، لكني لم افقد الأمل تاركا الموضوع الزمن

3

مساءا هاتفا ابي على عجل وفي كل مرة كان يأتيني الرد{الهاتف المطلوب مغلق حاليا يرجى إعادة المحاولة لاحقا}

تـرددت تلك العبارة أكثر من مرة وباللغات العربية والإنكليزية والكردية

يا ترى ماذا يحدث في قريتنا؟

لماذا هاتف ابي مغلقا؟

في دوامة القلق.... داهمتني الأفكار والهواجس لحين انتباهي على وقع أقدام تبع ذلك طرقات خفيفة على باب غرفتي

كالعادة كان الطارق الحاج محمود، لا أعرف لماذا انتابني الفرح حين مجيئه

هل لأنه قطع تلك الأفكار التي أقلقتني كثيرا

أم لأني كنت بحاجة ماسة للحديث معه كي يخرجني من دوامة العزلة

لم يرغب الحاج محمود بالدخول إلى بل دعاني إلى غرفته لتناول العشاء، بالغ الرجل كثيرا في ضيافتي وبعد أن تناولنا الشاي بادرني قائلا

- أراك قد استسلمت لليأس
- لا يا حاج، لكني أمر بأوقات عصيبة
- حلاوة الدنيا تكمن في صعوبتها قال ذلك مبتسما

تصفحت في وجهه قائلا

- أحيانا ارغب في البكاء
- لا يا ولدي، لا تضيع وقتك في النحيب على باب أغلق في وجهك، فهناك الكثير من الأبواب المنفتحة ولكنك تغافلت عنها بنحيبك

نحن من يصنع السعادة

أتعرف ما هي معادلة الحياة

- ما هي يا حاج
- نصرخ حينما نأتي إلى الحياة وحين نغادرها يصرخ الآخرون والسؤال الأهم

هو كيف نصنع سعادتنا ما بين تلك الصرختين.

- وكيف لنا أن نصنع السعادة في مجتمع مليء بالكذب والخداع قلت ذلك بغضب شديد

اعتدل الحاج محمود في جلسته وبحركة من يده طلب مني أن أتمالك أعصابي وقال

- لا تدع الألم والمعاناة والحرمان ان تصنع منك إنسانا قاسي القلب، لأنك عندما تمتلك الشجاعة فسوف تغفر للآخرين خطاياهم، لا تجعل للعداوة موطنا في قلبك فالقلوب أوعية تحتوي كل شيء جميل

حالة من الطمأنينة وراحة البال احتوتني وانا استمع لكلمات الحاج محمود، فهو البلسم الشافي كما أنه يمتاز بقدرة عجيبة على التكيف مع الواقع والقفز على موانع الحزن.

انتبه إلى حالة شرودي وسألني

- ما بك يا ولدي
- لا شيء يا حاج، أفكر في كلامك
- أرجو ان تستفد منه، انه خلاصة تجربتي في الحياة
- وهذه الكتب ألم تستفاد منها

- هي جزء من تلك التجربة، كذلك فإن بعضها تخص مجال عملي فأنا كما تعلم اعمل بتجارة الأعشاب وهو عالم ساحر وفيه كثير من الأسرار

أضاء جهاز الموبايل تبعه صوت موسيقى حلاق اشبيلية فهذه نغمتي المفضلة

اعتذرت من الحاج محمود ودعته على أمل اللقاء.

كانت أيامي متشابهة وعلى نسق واحد، لم يكن همي من خلال البحث عن العمل هو فقط من أجل الحصول على المال رغم أهميته بل لأني عندما أعمل سوف أشعر بأني مازلت على قيد الحياة.

ان التحرر من نظرات الآخرين ومن المخاوف من عدم حصولي على عمل سوف تمنحني حافزا أكثر

مرة أخرى وجدت نفسي وجها لوجه مع الحاج محمود في صالة الفندق فيما علا صوت التلفاز على صوت فيروز وهي تغني بغداد والشعراء والصور.

توالت الحركة في تلك الصالة الفسيحة بين وفود مغادرة وفود قادمة فيما انشغل موظفي الاستقبال بتنظيم أوراق القادمين الجدد وتسليمهم الغرف وسط انسيابية سلسة.

مساءا ذهبت بصحبة الحاج محمود في جولة حرة شملت شارع السعدون مرورا بشارع الكرادة ليستقر بنا المطاف عند مقهى رضا علوان حيث ملتقى مثقفي العراق.

تطلع الحاج محمود حوله، فرح كثيرا وهو يرى ذلك الحشد الذي ملأ المكان.

تصفح في وجهي وسألني ان كنت قد تأثرت بشخص ما

على الفور أجبته، ان سلوكي قائم على عدم الرضوخ لإملاءات الآخرين ففرح بذلك وقال

- ان عيشك على نمط واحد تختاره أنت وسلوك ثابت غير خاضع لمؤثرات خارجية وبدون تدخل أي شخص هو النجاح الكبير الذي تحققه في مسيرتك الطويلة

وأردف كل ما تحتاجه هو الصبر ففي نهاية المطاف ستنال كل ما تتمنى.

عدنا بعدها كل إلى غرفته، وما ان دلفت غرفتى حتى استلقيت على سريري سارحا في مشاريعي المستقبلية.

مصالحة ابي وبأي حال من الأحوال هي أمنيتي الكبرى.

طلب المغفرة والعفو هو هدف سامي يسعى إليه الكثيرون ممن بات غضب الأبوين عليهم هاجسا يؤرقهم ويقض مضاجعهم.

ان العيش على تحقيق الأماني هو اللذة الوحيدة في هذه الحياة، وكم تمنيت أن يتم إنقاذ أمنياتي خوفا من تخبرها في هجير الأيام.

4

لساعات الفجر حكايا غريبة وساحرة تأخذنا إلى عوالم مليئة بالدهشة.

هذا الصباح بدا مختلفا عن بقية الأيام

فلقد لعب القدر دوره هذه المرة، حيث رآني أحد أصحاب المحلات في منطقة السنك وكان صديقا قديما من أيام الجامعة، وما ان رآني حتى بادر بالسؤال متهكما

- هل ظهرت قوائم التعيين؟

هل اسمي واسمك من ضمن القوائم؟

قال ذلك ضاحكا

في البداية لم أصدق عيني حين رأيته، انه سامي صديقي أيام الجامعة وما ان اقتربت منه حتى أخذني بالأحضان، دعاني إلى محلاته والتي كانت شبه خالية من البضائع.

لا أعرف لماذا كانت المحلات فارغة، لقد كان سامي من كبار تجار منطقة السنك.

تساءلت مع نفسي

هل أعلن سامي إفلاسه؟

لاحظ سامي استغرابي وانا أنظر إلى رفوف المحل شبه الخاوية

- لا تستغرب يا صديقي، إنها الخيانة، لقد سرقني شريكي وهرب قال ذلك بلهجة حزينة

أطرقت برأسي أرضا وقلت

- الله يعوض عليك يا صديقي

- والنعم بالله، أجاب بحزن وكأنه قد استسلم لهذه النهاية المأساوية

بعد أن تناولنا الشاي دعاني سامي لمرافقته لشراء بضاعة جديدة وهي عبارة عن حاوية مليئة بقطع الغيار المستعملة للسيارات الكورية.

كان سامي مفاوضا ناجحا وعنيدا ولا أعرف كيف اندمجت معه في مفاوضات الصفقة وكأنني تاجر محترف

وأخيرا تمت الصفقة.

استبشر سامي بذلك خيرا، دعاني إلى الاحتفال بهذه المناسبة واصطحبني إلى مطعم كباب السليمانية في ساحة الوثبة والذي يشتهر بتقديمه أطباقا لذيذة من الكباب المشوي.

بعد الانتهاء من تناول الطعام، عدنا الى محلات سامي.

وبعد أن جلسنا لشرب الشاي، تصفح سامي في وجهي قائلا

- ما أصعب الحياة عندما يأتيك الحزن والألم من اقرب الناس إليك في وقت كنت أنت المنقذ لهم، لقد كان شريكي في العمل هو {بروتس} زماني

حقا ما أبشع الخيانة

ما أبشع الطعنة التي تأتيك في ظهرك

و ممن؟

من اقرب الناس إليك، ان الطعنات التي تأتي من مسافة قريبة تكون قاتلة

- لا عليك يا صديقي قلت ذلك مواسيا

نظر لي والحسرة تملأ قلبه وأردف قائلا

- خيانة الصديق جريمة عظمى، خصوصا إذا وثقت به وسلمته كل أموالك، إنها تترك فيك جرحا غائرا لا يندمل على مر السنين

- حسنا تكلم يا صديقي، ان الكلام سوف يريحك، أزح همومك، لا تدعها جاثمة على صدرك قلت ذلك مواسيا

- إن كل الكلمات في قواميس العالم لا تستطيع أن تعبر عن المرارة التي أشعر بها نتيجة خيانة صديقي لي، إني نادم على تلك الأيام التي ضاعت هباءا وأنا برفقة ذلك الوغد الذي سرق أموالي وهرب

هنا ربت على كتفه وأنا أحاول ان أهدئ من روعه

- انتظر عدالة السماء يا صديقي، ودعته على أمل اللقاء

نهض صديقي من مكانه صائحا خلفي

- انتظر، إلا تريد أن تعرف من هو هذا الصديق

نزلت كلماته كالصاعقة على مسامعي

انتبهت إلى تلك الملاحظة،حقا لقد فاتني أن أسأله وبصوت متردد قلت

- من يكون، هل أعرفه؟

- انه صديقنا عادل، أتذكره لقد كان معنا في نفس الكلية وفي نفس القسم

- نعم لقد تذكرته،و لم أنسى ابدا محاولته التقرب من زميلتي مريم على الرغم من معرفته بالعلاقة التي تربطني بها.

حقا انه نذل وسافل، على كل حال سينال نصيبه، فإن للعدالة أجراسا ستقرع ولو بعد حين

ولكن كيف وثقت به كل هذه الثقة

- انها غلطة حياتي وصدق من قال { غلطة الشاطر بألف }

- لا تتصور يا صديقي بأن جميع الناس هم من الملائكة لأنك ستكتشف بعد فوات الأوان كم كنت ساذجا

- صدقت ولكن بعد أن وقع المحظور قال ذلك ضاحكا وهو يندب حظه

تصفحت في وجهه مليا وانا استمطر ذكرياتي مع عادل ذلك الشاب المراوغ ثم قلت

- أعظم جهاد هو ان تجبر نفسك على أن تتعايش مع وجوه ملونة، وجوه أدمنت ارتداء الأقنعة ليحيلوا حياتنا إلى حفلة تنكرية ما زالت فصولها تروي لنا قصصا مشبعة بالعفن حتى بعد أن أسدل الستار على فصولها المليئة بالخداع والمراوغة

نهض سامي من مجلسه وأخذ بالتصفيق بعد سماعه لكلماتي

- يبدو أنك أصبحت فيلسوفا قال ذلك مازحا
- الحياة يا صديقي تجعل الصخر ينطق من شدة آلامها

ودعت سامي وعدت أدراجي إلى الفندق.

5

بغداد / تشرين الثاني 2008

لمحتها من بعيد، كانت من بين الطالبات اللواتي انشغلن بمراجعة المحاضرات في مكتبة الكلية، في بداية الأمر كنت أراقبها من غير أن تشعر، لكنها أخذت تنظر لي كلما أتيحت لها الفرصة لذلك

وعندما تتلاقى أعيننا، كانت تطيح بنظرها بعيدا عني وتتصنع اللا مبالاة.

بدأت أحب مكتبة الكلية وأطيل المكوث فيها لا لشيء إلا لكي أراها ونتيجة لذلك بدأت بقراءة أي كتاب تصل إليه يدي وخصوصا في الأوقات التي انتظر فيها قدومها

هل صحيح أن الحب الجديد يميت الحب القديم

لا أعرف فلقد ارتبكت مشاعري وتشوشت أفكاري، ولكن كل الذي أعرفه الآن هو أنني بدأت اهتم بهذه الفتاة الأنيقة المليئة بالغرور.

هذا الصباح كانت المكتبة مكتظة بالطلبة وكالعادة اتخذت مجلسا بالقرب منها.

فجأة، اعتذرت من زميلاتها، تقدمت بإتجاه رفوف المكتبة

يبدو انها تريد أن تستعير كتابا، استجمعت شيئا من القوة، نهضت مسرعا ومن جهة معاكسة تقدمت نحوها كي أكون أمامها، وقفت مضطربة، بينما كنت أكثر اضطرابا، استهلكت كل الدقائق التي أتيحت لي كي أصارحها بحقيقة مشاعري ولكن من دون جدوى، تبعثرت الحروف من على شفتي، تسارعت نبضات قلبي، استجمعت ما تبقى لي من جرأة كي اقفز على موانع الحياء، لكن بلا جدوى.

ابتسمت وهي تنظر لي ولأول مرة اسمع صوتها عن قرب

_ لست مضطرا لأن تقول اي شيء، فلقد أخبرتني عينيك عما عجز عنه لسانك وتركني ومضت.

كان هذا هو اللقاء الأول بيننا، لا أعرف حينها ماذا أصابني ولكنني شعرت ساعتها بأني حققت انتصارا عظيما.

لاحقا كنت من أكثر المترددين على المكتبة ومن روادها المتميزين

هذا اليوم، لعبت الصدفة دورها وكان القدر رحيما معي، فعلى طاولة في أقصى زاوية من المكتبة جلست لوحدها وهي تطالع مجلة أدبية، يبدو انها قد تخلفت عن زميلاتها.

بدأت بمراقبتها عن بعد من غير أن تراني، يبدو أنها تنتظر شخص ما، فلقد بدأت بمراقبة كل من يدخل أو يخرج من المكتبة.

لماذا لا أكون انا الشخص المقصود؟

حسنا أيها الفارس، اذهب إليها

تبا لهذا التردد، أخيرا تخلصت من حالة الإرباك، عدلت هندامي، توجهت نحوها وانا امشي كالطاووس.

أكثر شيء كان يقلقني هو ان أسقط أرضا، بدت المسافة بيني وبينها طويلة رغم أنها في مرمى البصر.

و ما ان رأتني حتى ابتسمت، هنا أدركت بأن الشخص الذي كانت تنتظره هو انا

ابتسامتها الجميلة وعيونها البريئة وصوتها الشجي وأنوثتها المتفجرة أزالت عني كل الخوف الذي انتابني.

على الفور بادرتها بالتحية، جلست بالقرب منها.

يا لهذا النصر العظيم، انا وهي تجمعنا طاولة واحدة

- هل أنت من الطلبة الجدد قالت ذلك

- نعم فلقد تأخرت في جلب أوراقي إلى الجامعة، لقد فاتتني كثير من المحاضرات

- وكيف ستعوض ما فاتك

- سأجد حلا لذلك

- لو كنت في قسمي لساعدتك

- شكرا لك

لم أستطع أن أمنع نفسي من النظر إليها، كانت جميلة لدرجة لم أستطع أن أطيح بنظري عنها حتى انها تحاشت النظر لي

هنا أرادت أن تفتح موضوعا للنقاش فبادرتني قائلا

- أراك ممسكا بقلمك

على الفور أجبتها

- اعشق قلمي لأنني بواسطته أستطيع أن أبوح بأشياء عجز لساني عن البوح بها

- إذن استعد لكي تكتب عني ما يدور بخلدك قالت ذلك وتركتني ومضت

فيما بعد، توالت اللقاءات وشهدت مكتبة الكلية ولادة قصة حب كانت والى أيام قليلة من الأشياء المستحيلة

كنت أكتب إليها وهي تصغي لي وتناقشني في التركيب الفني للقصيدة مما جعلني أجزم بأنني أمام مشروع ولادة شاعرة ستأخذ مكانها وعن استحقاق في عالم الأدب.

وحين سألتني عن آخر قصيدة كتبتها، طلبت مني ان أقرأها، لم استطيع ان أخبرها بأني قد كتبتها إلى حبيبتي التي تركتني ورحلت من دون أن توضح أسباب رحيلها.

- حسنا أيها الشاعر اسمعني إياها

تنحنحت قليلا، ازدرت ريقي وقلت

ما زلت ارتدي العشق

ثوبا ممزق

حين اتكئ على عكاز الوجع

أراك شوقا ميتا

اعياه انتظار قديم

لقاؤنا.. بعيد.. بعيد

كنت أقرأ لها وأراقب ردود أفعالها

تفاعلت مع القصيدة ولكنها أردفت

- لماذا كل هذا التشاؤم، ففي الحياة هناك لحظات سعيدة وأتمنى من كل قلبي ان لا يكون عشقك القادم ميتا

- سأحاول أن أكتب قصيدة فيها طابع الفرح قلت ذلك مازحا

رمقتني بنظرة عتاب وكأنها تقول، يا لك من أحمق حتى في كتاباتك لا تستطيع أن تبوح بما يدور في خلدك وتركتني ومضت بعد أن وضعت وردة حمراء على الطاولة

6

وجاءت الأخبار الحزينة من القرية

مساءا وانا في غرفتي، ومض جهاز الموبايل،بعدها أخذ بالرنين

لا أعرف ساعتها لم جفلت عند سماعي رنين موبايلي على الرغم من أن النغمة كانت موسيقى هادئة

رددت مع نفسي أكثر من مرة

سترك يا رب.. سترك يا رب

ترددت كثيرا قبل أن أجيب وما ان قلت

الو.. الو حتى انقطع الاتصال

لا أعرف لماذا ارتعشت يداي، العرق المتصبب بغزارة زاد من توتري

رن جهاز الموبايل مرة أخرى، وانا أنظر إليه بخوف.

أخيرا، أجبت

على الطرف الآخر كان ابن عمي والذي بادرني بالنحيب والعويل.

لقد صدق حدسي، فثمة مصيبة كبيرة وراء هذه المكالمة المشؤومة.

في البداية لم أستطع أن أميز شيئا مما قال لكثرة تلعثمه في الكلام وبكائه الشديد ولكني بعد جهد جهيد علمت بأن ابي قد مات قبل لحظات.

من شدة غضبي رميت بجهاز الموبايل أرضا، أصابتني رعشة كبيرة، لم أعد قادرا على الوقوف، استندت إلى الجدار، واضعا رأسي بين ركبتي، مطلقا العنان للدموع.

كان حزني مضاعفا فعلى الرغم من حزني الكبير لوفاة والدي إلا أن حزني الأكبر كان لأنه قد مات وهو غير راض عني.

وأخيرا، ها انا من جديد في قريتي، أعود إليها منكسرا بعد أن فقدت سندي في الحياة، لم أعد أقوى على المسير، تبا لهذا الضعف

على الأرض.. جلست، أخذت قبضة من التراب وأهلته على رأسي

انها الأرض أصل كل شيء

أيتها الأرض يا من منحتي جسدي الفاني عناصر تكوينه، امنحيني القوة لمواجهة هذا الموقف المؤلم فنحن في زمن قد رفع فيه شعار البقاء للأقوى.

أيتها الأرواح السبعة، يا من استوطنت في جسدي المتعب، اتركي خلافاتك لزمن آخر وجسد آخر فأنا في أشد الحاجة للقوة.

بدأت الذكريات تمر كشريط سينمائي قديم بدءا من حفلة زفاف ابي

كانت مناسبة زواج ابي من امي غير عادية، يومها لم أحضر لوليمة العرس، فلقد كنت مشغولا بمراقبة وجوه الحاسدين الذين استكثروا على ابي زواجه من ابنة شيخ القرية.

العجوز التي حصلت على صحن كبير من الثريد لم تستطع أن تخفي ابتسامتها وهي تستعرض طقم أسنانها الجديد أمام عجائز القرية.

ترددت كثيرا قبل أن ألج الدار، الكل كان يرمقني بسهام عيونه وكأني المسؤول عن وفاة ابي.

لملمت جراحي، بثقة عالية لم آلفها من قبل،دلفت حيث اجتمع الجميع وما ان وقعت عيناي على جثة ابي المسجاة وسط الدار حتى فقدت وعيي ساقطا على الجنازة وسط ذهول امي وأخواتي

كان منظرا مؤلما، لم أستطع تحمله فلأول مرة أشعر بأني فقدت سندي في الحياة.

للحظات خلتها دهرا غبت عن هذا العالم، لم استفق إلا على صيحات أمي وأخواتي

نظرت إليهن بإنكسار،لم أكن ارغب في ان أظهر أمامهن بمنظر الضعيف والمهزوز فأنا منذ اليوم سأكون المسؤول عنهن

استجمعت ما تبقى لي من شجاعة، استقبلت المعزين باذلا قصارى جهدي كي أسيطر على نفسي رغم هول الفجيعة

ومنذ الساعات الأولى اختلفت وجهات النظر مع أبناء عمي والذين أصروا على أن تكون مراسيم الفاتحة في البيت ولمدة ثلاثة أيام إلا أنني تدخلت وبقوة فارضا رأيي عليهم حين قررت ان تكون مراسيم الفاتحة في الجامع ولمدة يومان على أن يكون يوم الدفن من ضمن أيام الفاتحة،وافق أبناء عمي على مضض

فجرا كنا جميعا في مقبرة وادي السلام في مدينة النجف الاشرف، خلال مراسم الدفن، لم أقوى على النظر إلى تلك الطقوس المخيفة لذلك ابتعدت قليلا متواريا عن الأنظار

انتبه الجميع لغيابي حين سأل الدفان عن الابن البكر للميت والذي بدوره أنكر ابتعادي عنهم.

بدأت الأفكار والهواجس تتقاذفني وانا أفكر في الحال الذي وصلت عليه ولم انتبه إلا على صوت ابن عمي،هرولت مسرعا حيث شرعت بتلقين والدي وحسب ما أملاه علي الدفان، وبعد أن غادر الجميع هويت على تلك الحفرة والتي ضمت جثة ابي مطلقا العنان لدموعي، انضمت امي وأخواتي إلى حلقة البكاء، حينها عاد الرجال لينتزعوني بقوة من على قبر ابي عائدين بي إلى السيارات حيث كان ينتظرنا أغلب المشيعين.

مساءا كنت بإستقبال المعزين وانا أحاول جاهدا أن اصمد.

وفعلا تمالكت أعصابي محافظا على رابطة جأشي إلا أنني كنت كالطفل المدلل الذي يملأ المكان بالعويل والصراخ لفقدانه لعبته المفضلة كلما اختليت مع نفسي

7

وأخيرا عدت إلى بغداد، كانت مراسم العزاء وما تلاها من أيام انهمكت فيها بإستقبال الأهل والأصدقاء متعبة للغاية إلى درجة لم أكن قادرا فيها على الوقوف على قدماي.

على الفور توجهت إلى الفندق عسى ان أحظى بشيء من الراحة معتزلا عن العالم.

لا أحد يلومني على وحدتي فإنا أرى العالم بشكل أفضل عندما اكون وحيدا، نحن في زمن مضطرب سادت فيه الفوضى وانعدمت فيه كل المثاليات، أحلامي الوردية أكبر من إمكانياتي لكني رغم هذا مازلت احلم فالتأخر في تحقيق الأحلام خير من عدم الحلم.

كثرة صمتي جعل الآخرين يلوموني ويتهموني بالإنعزال والانطواء لكنهم لا يعلمون أن في صمتي قواميس من الكلام.

أكثر شيء خفف عني مصيبتي هو وجود الحاج محمود في حياتي، لعله هدية السماء لي، فهو الصديق الذي أشكو إليه

همي، فنحن إذا لم نجد من يقف معنا في أوقات الشدة ويفرح لفرحنا ويحزن لحزننا فلنقرأ على الدنيا السلام.

انتبهت على وقع خطوات قرب باب غرفتي، تمنيت أن يكون القادم الحاج محمود وبالفعل كان هو.

ما ان رآني حتى أخذني بالأحضان، دخلت في نوبة من البكاء

- ابكي يا ولدي ففي البكاء راحة للقلب قال الحاج محمود مواسيا

بعد أن جلس أمامي، تصفحت في وجهه مليا بينما كان يداعب مسبحته بيده اليمنى ويقبض على لحيته الطويلة بيده اليسرى.

فاللحية الطويلة في مجتمعاتنا الشرقية دليل على اكتمال المعرفة والوصول إلى أعلى مرتبة من مراتب الحكمة.

انتبه الحاج محمود إلى مدى حزني وأراد أن يخفف عني من وقع المصيبة قائلا

- كلنا راحلون، فالموت سيحصد الجميع

- نعم يا حاج، لكن حزني عظيم لوفاة ابي وهو غير راض عني، آه لو نلت رضاه قبل موته لكانت الأمور قد تغيرت، على الأقل سوف أكون مرتاحا من تأنيب الضمير الذي لازمني منذ وفاته.

طرق الحاج محمود برأسه أرضا، بدت منه حسرة وكأنه قد تذكر شيئا وسألني ان كنت سأكون بحال أفضل أن نلت رضا ابي، بعد أن أجبت بالإيجاب وعدني بأنه سوف يساعدني على تحقيق هذه الأمنية

عقدت المفاجأة لساني فكيف لي أن احصل على مسامحة ابي وهو الراحل عنا قبل أيام،

كيف يستطيع الحاج محمود ان يساعدني؟

لعله يريد أن يزرع الأمل في دروبي ليخرجني من دوامة الحزن التي ابتلعتني

استفسر الحاج محمود عن سبب شرود ذهني وبماذا أفكر وحين اخبرته بأنني قد فقدت الأمل تقريبا، انتفض قائلا

- الدنيا عبارة عن مسرحية، نحن الممثلون فيها ونحن من نجعلها كوميدية أو تراجيدية

- لا أوافقك الرأي يا حاج فقد يسعد الإنسان بنفسه ويشقى بغيره وعلى ذكر الموت فلقد كتبت خاطرة قلت فيها {على الرغم من أن عنوان المسرحية كان لنغن للحياة إلا أن كل الجمهور كان من الموتى}

وقعت كلماتي كالصاعقة على الحاج محمود وتساءل هل أصبحنا نحن الموتى ثم أردف

- نحن لنا عالمنا وهم لهم عالمهم، نحن نستطيع أن نزور عالمهم مثلما هم يزورون عالمنا

هنا دب الأمل في صحراء أمنياتي متوسلا به ان يعلمني كيفية الوصول إلى عالم الأموات.

ضحك الحاج محمود، بدأ بالسعال، طالبا مني عدم التسرع فحسب رأيه ان كل عمل مهما كان صغيرا فلابد له من تحضيرات فما بالك ومهمة من هذا النوع

اجبته على الفور

- لا استطيع فأنا محبط

- الموضوع ليس بهذه السهولة التي تتصورها، يلزمني إعداد خلطة سحرية تساعدك على الانتقال إلى عالم الأموات.

بدت كلماته غريبة ولو لا ثقتي به لما صدقته وحين سألته عن مكونات الخلطة، أجاب ضاحكا بأنها سر المهنة، لكنه سوف يخبرني بكل شيء فور الانتهاء من إعدادها، ودعني على أمل اللقاء

ما ان غادر الحاج محمود حتى بدأت باستعراض شريط ذكرياتي وكأنه فلم سينمائي قديم وبالأسود والأبيض.

انثالت الذكريات كالمطر وابتداءا من يوم تخرجي

ففي ذلك اليوم نحر والدي عشرة من الخراف ودعا جميع أفراد قريتنا إلى وليمة أعدت بالمناسبة.

مرورا بمحطات كثيرة منها السعيدة ومنها المؤلمة.

مشاريعي التي لم تتوقف، كتاباتي التي هجرتها منذ زمن ليس بالبعيد وذلك الهاتف الذي يقتحم خلوتي ويطالبني على الدوام بأن لا أهجر قلمي.

على طاولة الكتابة أخذت بقلمي كي افك اسره وامنحه مزيدا من الحرية لكي يبوح بكل خلجاتي ومشاعري.

كلماتي التي أسرتها في مخيلتي كسرت حاجز الخوف وتمردت لتخرج إلى عالم الورق معلنة عن تلك المشاعر الحبيسة، تلك كانت المرة الأولى، بعدها أصبحت الكتابة عادة مألوفة امارسها في أوقات الفراغ بدون خوف من متلصص أو متهكم.

8

في زحمة الأمكنة تتدلى الأمنيات فاغرة فاهها لتلقف كد المتعبين السارحين على طرقات الأمل.

رسم الصبح لوحة زاهية على تلك المحلة الغافية على أحضان دجلة.

نسمات الهواء الرطبة أضافت القا إلى تلك الشوارع التي اكتظت بهموم الغرباء الباحثين عن ملاذات آمنة وسط زحمة الدنيا.

تباشير الصباح حملت الفرحة وحملت بين طياتها البشرى، فلقد أنجز الحاج محمود خلطته السحرية ولم يبقى سوى انتظار منتصف الليل كي انطلق إلى عوالم أخرى.

انتابني شعور بالفرح ممزوجا بشيء من الخوف والقلق حال سماعي بالخبر.

و قبل ذهابه إلى عمله، طلب مني الحاج محمود ان اقضي يومي بشكل طبيعي.

في بداية الأمر لم تكن لي رغبة بالذهاب إلى العمل لولا تلك المكالمة من قبل صديقي سامي والذي أكد على ضرورة حضوري حالا لوجود صفقة كبيرة فيها منفعة لي.

في الحقيقة فرحت كثيرا لتلك المكالمة فأنا بحاجة ماسة إلى العمل كي أشغل نفسي بشيء ما بإنتظار المساء حيث مغامرتي الموعودة.

وأخيرا حل المساء حاملا معه بشارات الأمل وعلى الرغم من شكوكي حيال المهمة إلا أنني كنت مقبلا عليها بفارغ الصبر.

جاء الحاج محمود حاملا معه أكياس بأحجام وألوان مختلفة.

أخذ بيدي حيث سطح الفندق بعد أن أعد العدة لتلك الرحلة.

في البداية أوقد النار، بعد أن تحول الفحم إلى اللون الاحمر وضع محتويات الأكياس دفعة واحدة بعد أن مزجها جيدا، انبعثت روائح عطرة لم أشمها من قبل رغم اهتمامي الكبير بإقتناء أجود أنواع العطور.

نظر لي الحاج محمود وكأنه يريد أن يطمئن إلى حالتي المعنوية.

بدأت نبضات قلبي بالتسارع وانا أنظر إليه وهو يتمتم بكلمات لم أفهمها.

أخذت المكونات بالاحتراق ونتيجة لذلك تكون دخان كثيف ملأ سطح الفندق.

بعد أقل من ربع ساعة تكونت غيمة صغيرة، أخذ الحاج محمود بيدي كي امتطي تلك الغيمة، تسمرت قدماي، ارتعشت أوصالي، ونهرني بشدة، دفعني بقوة إلى تلك الغيمة ولم ينسى ان يذكرني بأن أغمض عيني حينما تحلق بي الغيمة محذرا بأني سأفقد بصري ان فتحت عيني.

وما ان اتخذت مكاني وسط الغيمة حتى شعرت بسكينة وطمأنينة ملأت كياني.

أغمضت عيني، استسلمت للقدر فتلك المغامرة كانت بإرادتي ويجب أن أكملها مهما كلف الثمن.

قبل أن تنطلق الغيمة إلى عوالم المجهول، أوصالي الحاج محمود بأن مدة الرحلة هي بالتمام ساعة واحدة فقط وان حصل اي تأخير فسوف أكون حبيسا بين الأزمنة.

زادت الشروط وما كان مني سوى القبول والإذعان كذلك أوصالي بأن ارفع يدي اليمنى عند الاستعداد لبدء الرحلة.

أغمضت عيني، أخذت نفسا عميقا،للحظات ساد صمتا مطابقا على المكان والغيمة تنظر لي تارة والى الحاج محمود تارة اخرى.

وما هي إلا لحظات حتى رفعت يدي اليمنى للإشارة إلى استعدادي لبدء الرحلة.

وعلى الفور أعطى الحاج محمود أوامره للغيمة كي تنطلق إلى عوالم المجهول.

وابتدأت الرحلة، أول شيء شعرت به هو رطوبة الهواء وحالة الضغط الشديد التي تعرضت لها وانا مغمض العينين، بدأت سلسلة الأفكار تطرق مخيلتي، تخيلت أشياء كثيرة، تساءلت عن مسار الرحلة لكنني بقيت انتظر عما ستؤول إليه هذه الرحلة.

قطع صوت الغيمة وهي تخبرني عن وصولنا إلى المكان المنشود تأملاتي، ترددت كثيرا قبل أن افتح عيني إلا أن الغيمة شجعتني وقالت

- لا تحزن ولا تقلق فأنت في أكثر الأماكن هدوءا وطمأنينة في هذا الكون، لم أتوقع وصولنا بهذه السرعة، يبدو ان سرعة الغيمة كانت تفوق سرعة الضوء بأشواط كثيرة، او ان عالم الأموات متداخل مع عالمنا ولكننا لا نراه إلا عندما يكون بصرنا من حديد يوم يكشف عنا الغطاء

9

لم أصدق ما رأته عيني فلقد كنت حقا في عالم مثالي، عالم سرمدي، أول شيء شعرت فيه هو حالة السكينة التي أطبقت على المكان.

تلك الوديان الخضراء والروابي المنتشرة في كل مكان، ارتدى الناس ملابس بيضاء نقية كنقاء المكان وقد انتظموا في حلقات دراسية.

لا أحد يهتم بما يقوم به الآخرون ولا أحد ينظر لما يملك جاره فالجميع متساوون في كل شيء، لا صراع طبقي ولا اثني ولا عرقي في هذا المكان والجميع سعداء، لا يوجد ما ينغص عليهم عيشهم، فكل شيء هنا متاح للجميع، يكفي أن تؤشر إلى أي شجرة حتى تنحني أمامك كي تقطف منها ما تشاء.

لا عداوة ولا بيضاء ولا حسد هنا والأجـواء فوق مستوى الوصف، واهم من يعتقد بأن الموت هو حالة فناء بل هو بداية لحياة جديدة وان الموت في الحياة الدنيا هو الوسيلة الوحيدة

للإنتقال إلى عالم الخلود، الموت ليس نهاية الطريق بل هو الخطوة الأولى إلى حياة أخرى وفي عوالم أخرى، عالم لا مرئي لا ندركه إلا بعد أن نتجرع الموت.

الشيء الوحيد الذي يجعل من جميع المعدمين ان يتحملوا كل تلك التعاسة التي رافقتهم طوال سنين حياتهم هو الأمل بحياة أخرى في تلك العوالم المجهولة.

ماذا لو تكلم الموتى، بالتأكيد سوف يكونون شهود إثبات في محكمة العدل الإلهي وبالتالي سوف يكشفون كل ذلك الزيف الذي ملأ كتب التاريخ

أول شيء فعلته هو استطلاع ذلك المكان الساحر، كان من الجمال والسحر بحيث عجز اللسان عن وصفه.

بعد لحظات خيل لي بأنها دهرا لم انتبه إلا على صوت ابي وهو يدعوني إليه

لم أستطع أن اكتم فرحتي الممزوجة بالخوف والدهشة حين سمعت صوته.

استدرت جهة الصوت، ويا للمفاجأة، كان ابي عبارة عن طيف اثيري غير مادي واقفا أمامي، في بداية الأمر لم أصدق

ما رأته عيني، لقد كان بكامل صحته واختفى الشيب واختفت كذلك آثار السنين، يبدو أنه رمى بكل أسقامه في حياتنا الدنيا.

ورغم فرحتي الكبيرة بلقائه إلا أنني لم أستطع من احتضانه ولم أستطع أيضا من الاقتراب منه، كانت ثمة مسافة فاصلة بيني وبينه، كان طيفا لا جسما ماديا،حذرني من الاقتراب منه، بادلني فرحتي، مستفسرا في الوقت نفسه عن سبب مجيئي إلى هنا.

وحين أخبرته عن السبب، وبخني كثيرا لأني قد فكرت بتلك الطريقة الصبيانية

_ أيعقل ان ارحل عن عالمكم وانا غاضب عنك؟ قال ذلك بدهشة واستدرك قائلا

لقد افنيت حياتي من أجلكم، هل نسيت تعبي في تلك الحياة، هل رأيت مثل هذه المفارقة، لم آخذ شيء من تلك المغانم الدنيوية معي، تركتها كلها لكم.

ثم كيف تفكر ولو للحظة واحدة بمثل هذه الطريقة، هل نسيت بأني أب، ولا يمكن للأب ومهما كانت أخطاء ابنه إلا أن يسامحه

تصفحت في وجهه ابي، لم أستطع أن أبوح له بكل شيء، كانت الدقائق تتسرب كحبات الرمل من بين يدي، وبادرته بالقول

- افهم منك بأنك قد سامحتني

ابتسم وقال

- ومتى غضبت عنك لأسامحك انت ابني الوحيد ووريثي والمعيل لعائلتي من بعد ما رحلت عنكم.

ثم انني لم اترككم يوما واحدا بعد رحيلي، كنت ازورك كل يوم خميس عند صلاة المغرب، ألم تلاحظ تلك الفراشة التي تقف عند شباك غرفتك في الفندق، تلك الفراشة كانت انا

وقعت كلماته كالصاعقة على مسامعي، شعرت برعشة كبيرة تجتاح كياني، هرولت مسرعا بين الروابي صائحا بأعلى صوتي

- لقد سامحني ابي، لقد سامحني ابي

- بعدها لم انتبه إلا على ابي وهو يعنفني

- كفاك ضجيجا فأنت لست في عالمك المليء بالفوضى، احترم خصوصية المكان وحافظ على هدوءك

- عذرا يا ابي

ابتسم والدي، ودعا لي بالموفقية والنجاح.

لم يقطع حديثي الودي مع ابي سوى تدخل الغيمة التي نبهني بأن الوقت قد داهمنا وان علينا العودة إلى عالمنا حالا

ودعت ابي بعد أن غمرتني سعادة لا مثيل لها فلقد حققت أولى أمنياتي.

في رحلة العودة، بدت الأجواء هادئة لولا ذلك الهاتف السماوي والذي اخترق مسامعي وتلك العبارة التي لم أسمع منها سوى بدايتها

وطنك.. نخلة

10

لا أعرف منذ متى وانا في مكاني هذا، فلقد شهدت كل الأحداث العظيمة التي سبقت الطوفان العظيم، كذلك فلقد اقتطع نبي الله نوح أغصانا كثيرة مني عند بنائه لسفينة النجاة والتي حمل بها الناجين من خطر الطوفان.

كذلك لم أعرف من الذي غرسني في مكاني هذا ولكني كلي ثقة بأني شاهد حي على كل تلك الأحداث التي مرت على البشرية.

لم أشعر يوما بالملل، فمراقبة تعاقب السنين أمر جميل للغاية، وربما أكون شاهد إثبات في محكمة العدل الإلهي لأني سجلت في ذاكرتي كل تلك الأحداث التي لم أبح بها لحد الان.

كذلك لا أعرف في أي زمن انا فيه

لا يهم ان أكون في زمن بدء الخليقة أو في زمن نهاية العالم، ذلك لأني لا أشغل نفسي بمعرفة التاريخ ما دمت أستمتع بمراقبة كل تلك الأحداث

ولكن ما ذلك الشيء الذي أراه لأول مرة في حياتي

ما ذلك الشيء الذي بدأ يقترب مني؟

أيعقل هذا؟

غيمة تحمل إنسان، هذا أمر غير مألوف صحيح أني رأيت منذ زمن بعيد بساطا يحمل إنسان، قد أتى من مدينة بغداد إلا إنني لم ارى في حياتي إنسانا يعتلي غيمة وهي تطير به في كبد السماء.

على كل حال يبدو إنني في زمن العجائب وسأسجله في ذاكرتي التي ربما سأصفح عما بداخلها يوما ما...

11

في الفندق كان الحاج محمود قلقا للغاية وهو ينتظر عودتي بفارغ الصبر.

بدا مرتبكا وكأن هناك من أخبره بأن أمرا ما سيحدث، أمر لم يكن يتوقعه أو لم يكن قد خطط له.

تلك الأوهام ما لبثت أن تلاشت حينما رآني وانا اقترب من سطح الفندق، وما ان نزلت من الغيمة حتى هرول مسرعا والدموع تنهمر منه.

بعد أن شكر الغيمة على صنيعها معي امرها بالانصراف على أمل أن يستدعيها عن قريب.

ابتسمت الغيمة وحلقت مختفية وسط السماء.

لم يستطع الحاج محمود ان يداري مخاوفه من فشل الرحلة التي وضع فيها كل خبرته في عالم الأعشاب والطلاسم.

انا أيضا لم أستطع أن أشرح له عن المخاوف والقلق الذي ساورني طيلة رحلتي، لكني لم ابح له بذلك.

وانهالت الأسئلة كالمطر، بدأ الحاج محمود بتوجيه السؤال تلو السؤال وانا في كل مرة أجيبه بإبتسامة،في بداية الأمر لم أعرف على أي سؤال أجيبه وذلك لكثرة الأسئلة التي طرحها.

- ها يا ولدي تكلم قال الحاج محمود

هل التقيت بأبيك؟

هل سامحك؟

أظنني قد تلعثمت في بادئ الأمر لكنني أجبته عن كل أسئلته، رغم أنه لم يمنحني الوقت الكافي للإجابة.

بدا متسرعا، ولأول مرة أراه بهذا التوتر وهو الحكيم الذي علمني كيف أتعامل مع المواقف المحرجة في حياتي

بعد أن نال مني التعب، استأذنت من الحاج محمود وذهبت إلى غرفتي.

لم أستطع نسيان ما جرى هذه الليلة فاللقاء مع الموتى حدث قد لا يتحقق إلا لشخص واحد في هذا العالم.

أكثر شيء لفت انتباهي في هذه الرحلة هي حالة الرضا والسعادة التي غمرت ابي.

انهالت مجموعة التساؤلات دفعة واحدة

يا ترى كيف استطاع ابي ان يرمي بأسقامه وأوجاعه في الحياة الدنيا قبل أن ينتقل إلى العالم الآخر.

كيف يستطيع المرء أن يخلع ثوب أسقامه ليرتدي ثوب العافية.

بدت الحالة أشبه بثعبان انتزع جلده القديم لينعم بجلد جديد وبراق.

ليلة ليست ككل الليالي تلك التي قضيتها في عالم الأموات، بعد أن أخذ مني التعب مأخذا آويت إلى فراشي متقلبا ذات اليمين وذات الشمال لعلي أحظى بنوم هادئ بعد تلك الرحلة العجيبة

12

بغداد حزيران / 2011

لساعات الفجر حكايا غريبة وساحرة تأخذنا إلى عوالم مليئة بالغرابة تجعلنا نحلق عاليا في متاهات الدهشة.

نحيا تلك اللحظات الجميلة حيث هجع الجميع إلى مضاجعهم ما عدا العشاق الذين ابتلوا بسهر الليالي والمهمومين المثقفين بأعباء الحياة ومشاكلها.

انا أيضا جفاني النوم هذه الليلة، فموعد رحلتي الثانية على وشك أن تبدأ.

مرة أخرى يقوم الحاج محمود بالعمل الجاد والمثابر من اجل تكوين الغيمة إيذانا لبدء مغامرتي الجديدة.

هذه المرة بدت الرحلة مألوفة بعض الشيء، بعد أن تبددت مخاوف الرحلة السابقة،

بخطى ثابتة وعزيمة كبيرة، تقدمت نحو الغيمة، وما ان استويت فوقها حتى أغمضت عيني، رافعا يدي اليمنى للإشارة إلى استعدادي لبدء الرحلة.

وما هي إلا لحظات حتى انطلقت الغيمة إلى حيث عالم السحر والخيال.

من جديد، أجد نفسي في المكان الذي أحبه، إنها الجامعة التكنلوجية في شارع الصناعة وسط مدينة بغداد

لم يكن من الصعوبة العثور على مريم وسط هذا الكم الهائل من الطلبة، فالمكان المحبب لكلينا هو تلك الطاولة في أقصى الزاوية من مكتبة الجامعة.

لم أصدق ما رأته عيناي، كانت تجلس بمفردها على نفس الطاولة التي شهدت ولادة حبنا وهي منكبة على قراءة كتاب {قراءة في قصيدة النثر } ل {ميشيل ساندرا }، انه هديتي الأولى لها.

يا ترى ماذا سأقول لها؟

هجرتني الكلمات وبدت ذاكرتي خالية تماما.

كان صورتها تلازمني أينما اذهب، فهي في وجداني وفي كتاباتي وأشعاري.

لكن كيف أخبرها عن رحلتي من المستقبل

هل ستستوعب كلامي، لعلها سوف تشك في سلامة قواي العقلية أو سوف تتهمني بخلق قصص بلهاء للهروب منها.

أخيرًا قررت أن لا أبوح لها بأي شيء عن رحلتي أو عن أخباري لحين ترتيب أمورنا.

بدت منها التفاتة سريعة، لمحتني من بعيد، لم تستطع أن تخفي فرحتها بقدومي رغم حالة الدهشة التي أصابتها.

رأيت السعادة تشع من عينيها، وبحركة مفاجئة أشارت بعدم التقرب منها.

صدمت لقرارها هذا، فهي قد تركت الجامعة بدون ان أعرف السبب ومنذ ذلك الوقت لم ألتقي بها رغم محاولاتي الكثيرة للعثور عليها.

انهالت الدموع على وجنتيها، رمقتني بنظرات كلها عتاب

التقت العيون وتكلمت بكلام فيه الكثير من الشوق والعتب، استذكرنا تلك الأيام الخوالي.

ما زلت متسمرا في مكاني ولا يفصلني عنها سوى خطوات قليلة.

مرة أخرى أشارت لي ولكن هذه المرة أشارت إلى طفل يجلس بالقرب منها، لم انتبه لوجوده عند دخولي أول مرة.

لم أرى في تلك اللحظات سواها على الرغم من ازدحام المكتبة بالطلبة، لقد اختصرت العالم بأسره في شخصها.

على مقعد قريب منها... جلست وانا أنظر إليها محاولا الاستفهام عما يدور من حولي.

لماذا صدتني؟

ومن يكون هذا الطفل؟

كل هذه التساؤلات قطعتها زميلتنا رجاء حين بادرتني بالسلام، استأذنت بالجلوس، وبحركة كسولة جدا أشرت لها بالجلوس، ما ان استوت في جلستها حتى قالت

- ما بك، توقف عن النظر إليها، لقد لفت انتباه الجميع، لا تسبب لها المزيد من الإحراج

- لكني لا استطيع ان أتمالك نفسي، قلت مبررا

- لقد أحرجتها، سيما وأنها قد تزوجت وهذا الطفل هو ابنها، أرجوك ان كنت تحبها ارحمها وغادر المكان فزوجها على وشك الوصول

نزلت كلمات رجاء كالصاعقة على مسامعي، ابتلعني المكان وكأني سقطت في هوة عميقة.

للحظات لم استوعب الأمر أو أصدق كل الذي سمعته

التفت إلى مريم متصفحا وجهها، في عينيها،قرأت كل مفردات الاعتذار وتأنيب الضمير.

على الفور نهضت من مكاني وانا اجر إذلال الهزيمة متعثرا بخطواتي، مثخنا بجراحاتي.

وأخيرا، عادت بي الغيمة من حيث أتيت، محطما لا أقوى على الكلام وفي صدري شحنات من الهم، ربما احتاج ليوم كامل لأفرغها بالبكاء والعويل.

وكالعادة لم أسمع سوى بعض الكلمات لذلك الهتاف السماوي

وطنك.. نخلة.. شامخة

في الفندق، أصبحت غرفتي شاهدا على كل الخيبات التي مررت بها، وها هو مسلسل الهزائم يطل من جديد فاغرا فاهه متلقفا كل شيء جميل في حياتي.

أحقا تزوجت مريم؟

استحقت مريم ان أطلق عليها سيدة السراب فلقد تلاشت في مرايا الزمن بدون أثر

لم أجد لها اي مبرر لإنقطاعها عن الدراسة على الرغم من جهودي المتكررة للقائها ومعرفة سبب تركها للجامعة

و ها هي من جديد تعلن عن مفاجأتها الكبرى بزواجها.

يبدو انها محترفة في إرسال الرسائل المليئة بالغرابة

على الرغم من أن رحلتي الثانية كانت مخيبة للآمال إلا أنني تخلصت من تأنيب الضمير.

فهي من اختارت مستقبلها وشريك حياتها ولن ألوم نفسي بعد الآن

13

وأخيرا حل الشتاء وانا انعم بالدفء في فراشي الوفير، انقلب ذات اليمين وذات الشمال ولأول مرة أستمتع بنوم هانئ بعد أن رحل فصل الصيف اللاهب، ذلك الفصل الذي هو بمثابة الكارثة على العراقيين، فمع ارتفاع شديد في درجات الحرارة تصل في كثير من الأحيان إلى منتصف درجة الغليان وانقطاع مستمر للتيار الكهربائي مما جعل من نهار وليل الصيف أشبه بالعقوبة الجماعية لكل المعدمين الذين لا يملكون ثمن شراء مولد كهربائي صغير يعينهم في ذلك الفصل اللاهب.

بينما السماء تعلن عن غضبها، كان الناس يهربون من شدة المطر كطيور فرت مذعورة من صقر جائع حلق عاليا في كبد السماء.

قطع حضور الحاج محمود إلى غرفتي من مشاهدتي للناس في ذلك الزقاق المقابل لشرفة غرفتي.

كالعادة جرت مناقشة مواضيع كثيرة، توقف كل منا عند هذا الحد فيما واصل كل منا تأملاته كل في عالمه، فيما هم الحاج

محمود بمغادرة غرفتي ضاربا بقدمه الأرض مشددا على انه مازال مصرا على تنفيذ ما خطط له.

أمسكت بيده محاولا منعه من مغادرة الغرفة قائلا له

- و ما هي خططك

ابتسم الحاج محمود وقال

- ابحث عن شخص، تعرفت عليه، ثم اختفى فجأة، كانت أمنيتي أن اسلمه مذكراتي

- وماذا تحتوي هذه المذكرات

- هي خلاصة تجربتي في الحياة، أريد أن أسلمها إلى الحاج مهدي، لقد ظهر فجأة في حياتي واختفى كلمح البصر

- ومتى رحل،قلت ذلك مستغربا

- منذ شهرين، أخشى ما أخشاه أن أموت وبموتي تختفي كل هذه الرسائل

- أهي مهمة لهذه الدرجة

- نعم ففيها مفاتيح العلم والحكمة، ولا استطيع منحها لأي شخص لأن لا أحد يستطيع أن يسبر أغوارها سوى ذلك الحاج

الذي رحل من غير أن يودعني أو على الأقل يعطيني عنوانه لأتواصل معه

تقدمت نحو الحاج محمود بكل ثبات قائلا

- حسنا،انا مستعد للبدء في رحلة البحث عن ذلك الرجل الغامض

14

و انطلقت مغامرتي الثالثة وانا مغمض العينين تساورني الشكوك حول نجاح رحلتي هذه خصوصا وأنها المرة الأولى التي انطلق فيها في مغامرة من اجل الغير.

وانا على الغيمة، لم أشعر بدورة الزمان ولا المكان، سرت في اوصالي برودة لم آلفها من قبل.

كيف لي أن أعثر على الحاج مهدي والذي اختفى من غير أن يترك أي أثر.

كان كل همي ان أحافظ على تلك الرسائل خوفا من ضياعها قبل أن أسلمها إلى الحاج مهدي.

حين نزولي من الغيمة، لم أكن أعرف أين أنا، ولم أستطع أن أسأل المارين بقربي.

سؤالي عن المكان سيوحي للآخرين بأني رجل معتوه، لذلك سرت على غير هدى وانا أطالع تلك الوجوه التي اكتظ بها المكان.

بدا لي المشهد مألوفا وكأني زرت هذا المكان من قبل.

اول شيء لفت انتباهي هي لغة أهل المدينة، فلقد كانوا يتكلمون باللغة العربية وباللهجة العراقية الجنوبية، كذلك كانت اغلب لوحات السيارات تحمل اسم البصرة، حينها علمت بأنني ما زلت في بلدي وعلى بعد أكثر من 500 كيلو متر جنوب العاصمة بغداد.

إنها البصرة ثغر العراق الباسم وعاصمة العراق الاقتصادية ومنفذه الوحيد إلى البحر ونافذته على العالم.

أخبرني الحاج محمود وقبل صعودي إلى الغيمة بأن هذه الرحلة ستكون بدون سقف زمني وحين انتهاء المهمة فما علي سوى الذهاب إلى المكان الذي نزلت فيه وان استدعي الغيمة.

على الفور بدأت بإستطلاع المكان، باحثا عن الحاج مهدي وسط تلك المدينة المزدحمة.

في لجة التفكير، استوقفت سيارة أجرة،ابتسم السائق عندما طلبت منه أن يأخذني في جولة حرة في المدينة.

في بداية الأمر، لم يعارض لكنه قال بأن الفاتورة ستكون مرتفعة.

ابتسمت وأومأت برأسي دلالة على الموافقة.

على الفور انطلق في شوارع المدينة ولم اترك شارع او تقاطع إلا وسألته عنه.

من بعيد لاح لي بائع الجرائد وهو ينادي بأعلى صوته، عارضا بضاعته بين السيارات المتوقفة وسط الزحام.

أخذت منه إحدى الصحف بعد أن أنقدته ثمنها وكم كانت دهشتي كبيرة حين وقعت عيني على التاريخ المثبت في أعلى زاوية من الصفحة الأولى، حينها علمت بأن الغيمة قد نقلتني إلى عالم المستقبل.

لم تكن أحوال الناس قد تغيرت،هذا الشيء أصابني بالإحباط لأنه ينذر بأن مستقبلنا سوف لم يطرأ عليه أي تغير.

عدت بعدها إلى فندق مناوي باشا على أمل أن أواصل البحث في اليوم التالي، راجيا أن لا يطول بحثي.

صباح اليوم التالي بدأت رحلتي في شوارع البصرة برفقة صديقي الجديد سائق سيارة الأجرة

كان عبد الكريم قاسم في العقد السادس من عمره وقد ولد عام 1958 أيام ثورة الزعيم الراحل عبد الكريم قاسم مؤسس

الجمهورية العراقية وتيمنا بالثورة وبرجل الثورة اسماه والده بإسم عبد الكريم.

كان المعيل لعائلة كبيرة اغلبهم من العاطلين عن العمل بسبب قلة التعيينات.

بدا متحمسا للعمل معي، قائلا وبصريح العبارة بأنه يتمنى أن تطول مهمتي كي يبقى معي لأطول فترة ممكنة.

عادت بي الذاكرة إلى آخر مرة زرت فيها مدينة البصرة، يومها كنا في سفرة مع أصدقائي بمناسبة فعاليات مهرجان المربد الشعري.

على وقع صوت الفرامل.. صحوت، فيما كان عبد الكريم يلعن ذلك السائق الذي توقف أمامه فجأة.

في التقاطع التالي امتثل السائق عبد الكريم لإشارة رجل المرور بالتوقف، نظرت إلى السيارة المتوقفة بجنبي، يا للمفاجأة انه هو الحاج مهدي، على الرغم من أنني لم ألتقي به من قبل، لكنني عرفته من الصورة التي زودني بها الحاج محمود.

وما كان مني إلا أن أشير إلى عبد الكريم بأن يلاحق تلك السيارة أينما ذهبت.

بعد فترة وجيزة من المطاردة توقفت سيارة الحاج مهدي قرب أحد الجوامع.

على الفور ترجلت مسرعا وانا أصيح بأعلى صوتي

- ـ يا حاج مهدي

استدار الحاج نحوي قائلا

- عفوا هل ناديتني
- نعم يا حاج، انا مرسل اليك من قبل الحاج محمود

وما ان ذكرت الحاج محمود حتى دمعت عينا الحاج مهدي، أخذني بالأحضان قائلا:

- أهلا بك، فكل أحباب الحاج محمود هم أيضا أحبابي
- لا وقت لدي يا حاج فأنا في مهمة محددة قلت ذلك
- تفضل، هل من خدمة أقدمها لك
- لدي أمانة أوصاني الحاج محمود ان أسلمها اليك
- وأين هي تلك الأمانة
- تفضل

بعد أن تناول الوصايا مني، قام الحاج مهدي بتقبيلها واضعا إياها على رأسه وقبل أن أغادر قال

- أبلغ الحاج محمود بأني سأقوم بتدريس وصاياه في كل المحافل

ودعته، بعد أن أوصاني بالإهتمام بالحاج محمود

في الفندق أبلغت عبد الكريم بأن مهمته معي قد انتهت وتركته بعد أن أنقدته مبلغا من المال

على الفور عدت إلى غرفتي بإنتظار الفجر لأعود إلى عالمي.

15

كل شيء كان طبيعيا في طريق العودة لولا حالة الإرهاق الشديد الذي أصابني وانا على ظهر الغيمة.

داهمتني آلاما مبرحة، جعلتني افقد توازني ولولا الهبوط السريع للغيمة لسقطت في غياهب المجهول.

كان مكانا ساحرا ذلك الذي هبطت فيه الغيمة، توسطته شجرة عملاقة، أخبرتني الغيمة بأن في ثمار تلك الشجرة شفاء من كل الأسقام، كذلك ففي الجدول الذي يمر بالقرب منها بركة، وقد اكل جميع الأولياء والصالحين من ثمار هذه الشجرة وشربوا من ماء الجدول.

بدت الشجرة وكأنها محمية بواسطة ريح شديدة.

و كلما حاولت الاقتراب من تلك الشجرة، ترميني الريح بعيدا، لأنهض من جديد مكررا المحاولة من جديد

كنت مثل {سيزيف} الذي أثقلت كاهله تلك الصخرة إلا أنه كان أكثر عنادا من كل الظروف لذلك لم يتغلغل اليأس إلى كيانه محاولا صعود الجبل كلما وجد لذلك سبيلا.

بعد عدة محاولات وصلت إلى حيث الشجرة العملاقة

وأخيرا ها أنذا أقف أمامها، امتلأت أغصان الشجرة من كل أصناف الثمار، وكل غصن يحتوي على نوع واحد من الثمار، ما ان اقتربت منها حتى مالت بأغصانها نحوي لتكون ثمارها في متناول يدي.

تصفحت في تلك الشجرة متذكرا قول الغيمة ان في ثمارها الشفاء.

عاودني الألم من جديد، شعرت حينها بمغص شديد جعلني أجثو على ركبتي.

نظرت لي الشجرة مبتسمة وقالت

- كل بسم الله

لا أعرف حينها على أي غصن مددت يدي ولا من أي الثمار قد بدأت، بعد تناولي من تلك الثمار انتابني شعور بالراحة وقد زال الالم من وقته

كنت كمن خلع لباس السقم وارتدى ثوب العافية، انحنيت أرضا، اقتربت من الجدول الذي كان ساكنا جدا

في محاولتي الأولى لإغتراف الماء، هاجت مياه الجدول بشدة، لا أعرف لماذا كان يجفل مني، لعلي كنت مليئا بالخطايا والذنوب.

بعد عدة محاولات استكانت مياه الجدول، سرت في جسدي رعشة كبيرة حين لامست يدي ذلك الماء البارد، غمرتني سعادة لا مثيل لها، اغترفت قليلا وقبل أن أشرب قلت

- السلام عليك يا أبا عبدالله الحسين

وقعت تلك الكلمات كالصاعقة، فلقد اهتزت الشجرة بشدة وماج الجدول واضطربت سكينته

ساعتها تذكرت مصيبة كربلاء وتساءلت مع نفسي

كيف منع الماء عن معسكر الإمام الحسين؟

ترقرقت دموعي وبغزارة وانا استذكر ذلك الموقف الذي أراه كل عام في تمثيل للواقعة يقام كل عام ويسمى { التشابيه} حيث تقوم مجموعة من الناس في يوم العاشر من محرم من كل عام بتمثيل المعركة في كل تفاصيلها في إحدى الساحات العامة حتى بلغت تلك المجاميع والتي تقوم بتمثيل المعركة الآلاف.

مالت الشجرة نحوي وهي تسألني مستفسرة

- من أين أنت ومن أي العصور

هنا انفتقت قريحتي واخبرتها بقصتي وحين قلت ان في قصتي كثير من الغرابة

ابتسمت الشجرة قائلة

- ان في هذا الكون الكثير من الأشياء العجيبة والغريبة، ما لم تره عين أو تسمع به أذن، وأردفت والحسرة تملأ قلبها

- أراك قد ذكرت الإمام الحسين قبل أن تشرب الماء

هل عاصرت زمانه؟

هل نصرته يوم كربلاء؟

فأجبتها بالنفي، فأنا من زمن يبعد عن زمن الإمام الحسين قرابة أربعة عشر قرنا، لكنني من محبيه، وأن الملايين في كل أرجاء المعمورة يحيون واقعة الطف كل عام.

مالت الشجرة بأغصانها وقالت

- لولا مشيئة الله لمالت أغصاني إلى حيث معسكر الإمام الحسين ولتفجر الجدول اثنتا عشر عينا من تحت أقدامه، ولكنها مشيئة الله.

هالني ما رأيت من تلك الشجرة ومدى كثافة أغصانها وقلت لها

- لم أرى في حياتي شجرة تحتوي على كل أنواع الفاكهة

هزت الشجرة أغصانها بلطف وقالت

- كل الأغصان هم أولادي وهم يحبوني ويطيعوني فمن أغصاني قام نبي الله نوح ببناء سفينته، كما ان عصا النبي موسى هي من أحد أغصاني، كذلك فإن المحمل الذي ارتقاه الإمام علي في بيعة الغدير من أغصاني أيضا وانا فخورة بذلك، إلا أن هناك غصة في قلبي مازالت تؤلمني وتحزنني إلى يومنا هذا، فلقد عصاني غصن من أغصاني كان قد لمسه أحد المارين من هنا ويبدو أن لهذا الرجل كثير من الذنوب والخطايا أو لعله أحد أتباع الشيطان ولكثرة عصيان ذلك الغصن، قمت بطرده.

- وماذا فعل ذلك الغصن ليسبب لك كل ذلك الحزن

- لقد صنع عتاة الأرض وزنادقتها ومارقيها من ذلك الغصن العاصي ذلك السهم المشؤوم

- اي سهم قلت مستغربا

- انه السهم الثلاثي الشعب والذي ذبحوا به عبد الله الرضيع وهو بين يدي ابيه الإمام الحسين يوم كربلاء.

اهتزت الشجرة كثيرا وأردفت

- كل ذلك بسببي فلولا طردي لذلك الغصن لما استطاعوا أن يصنعوا ذلك السهم، لن اسامح نفسي ما حييت

أشفقت كثيرا لحال الشجرة مذكرا إياها بأن الأشرار يحولون الخير إلى شر لأهداف خبيثة، كما فعل السامري حين قبض قبضة من أثر الرسول ليوهم قومه ويحيدهم عن عبادة الله والأمثلة كثيرة

بدا على الشجرة ارتياح لسماعها كلامي وقالت

- الآن أخبرني عن زمانك

لم أعرف من أين أبدأ حكايتي، فالمصائب في وطني لا حصر لها، كل شيء بدا ضبابيا وكأن لا لون له، حتى الفرح قد هجرنا منذ ان بدء مسلسل الحزن برسم لوحة قاتمة على وطني.

كانت الشجرة تستمع بحزن وانا اروي لها قصة وطني وحين أنهيت حكايتي، انتفضت الشجرة بشدة وقالت

- كان عليك أن تستفيد من تنقلاتك عبر الزمن لإنقاذ وطنك

أصابني كلام الشجرة بالإحباط، هل حقا ضيعت فرصة كانت في متناول اليد لإنقاذ وطني.

بدت من الشجرة التفاتة وسألتني ان كان هناك ما يشغل تفكيري.

قطع كلام الشجرة تأملاتي وسألتها عن ذلك الهاتف السماوي والذي كان يناديني في كل تنقلاتي.

ابتسمت الشجرة وقالت

- انا من كنت أناديك
- ولكني لم أسمعك جيدا، حسنا وماذا كنت تقولين

هزت الشجرة أغصانها بلطف وقالت

- وطنك نخلة شامخة، عصية على الأعداء، والآن عد إلى زمنك وأنجز المهمة

16

في الفندق، لم يستغرب الحاج محمود لقصتي مع الشجرة، فهو قد سمع عن تلك الشجرة من معلمه، كما أنه قد أخبر الحاج مهدي عن تلك الشجرة في رسائله التي أرسلها معي، كذلك أوصاني بالاستعداد لتنفيذ المهمة الكبيرة عما قريب.

في غرفتي، بدأت أفكر في كل ما جرى، أثارت كلمات الشجرة شجوني وآلامي فلقد نسيت في لجة الأحداث مصائب وطني.

حقا لقد كنت أنانيا في تعاملي مع الأحداث، أمسكت قلمي وكتبت

مأساة وطن

.....

وسط زحمة القلق

سلكت طرقات الشمس

باحثا عن أيامي

عن سنين أهلكها الضياع

***

أكثر من النخيل

هم الشهداء في بلادي

في صدري وطن

أوسع من العالم

تملأ الشوارع جموع الفقراء

تهدر بصوت واحد

الوطن الذي كان سجنا

تحول إلى مقبرة

..... وأنا.....

صباحا، استيقظت على رنين جهاز الموبايل، كان المتصل صديقي الذي بدوره دعاني للحضور وعلى الفور لإنجاز صفقة عمل كبيرة.

كان العمل مع سامي ممتعا ومفيدا، فلقد اكتسبت خبرة في إنجاز الصفقات كما وحقق لي مردود مالي كنت في أمس الحاجة إليه.

في محلاته، استقبلني سامي بحفاوة كبيرة،اجلسني الى جانبه قائلا

- أتعرف، لقد جاء الخير بقدومك، انتعشت تجارتي، ألقت الشرطة القبض على عادل وهو الآن في السجن منكسرا وذليلا

- هذه أخبار سارة، فعلا انا مسرور لذلك

بعد أن احتسينا الشاي سوية ذهبنا لأنجاز الصفقة، وكالعادة نجحنا في ابرامها وسط فرحة سامي بكل هذا النجاح.ودعته على أمل اللقاء.

17

بغداد 2003

عبر جهاز التلفاز وفي مقهى حسن عجمي في شارع الرشيد، استمعت إلى خطاب الحاكم المدني للعراق بول برايمر والذي نصبته قوات الاحتلال.

كان يعد الشعب العراقي بالرفاهية والتقدم والازدهار، مذكرا إياهم بأن قوات بلاده جاءت لإنقاذهم من الظلم والطغيان.

على الفور نهضت من مكاني متوجها إلى أقرب مطبعة، حيث قمت بطباعة لافتة كتب عليها { أنت كذاب كبير يا برايمر }

عند مدخل المنطقة الخضراء في جانب الكرخ من مدينة بغداد، توقف موكب السيارات المصفحة أمامي.

كنت انا المتظاهر الوحيد الذي وقف بإنتظار خروج برايمر.

لم استطع ان أميز احد في تلك السيارة المصفحة السوداء بسبب زجاجها المظلل.

بعد فترة وجيزة، تم فتح زجاج النوافذ فرأيت الحاكم المدني للعراق بول برايمر والذي بدا مندهشا حينما قرأ اللافتة التي كنت احملها وبلغة ممزوجة بالغضب قال

- لماذا تصفني بالكذب

- لأني سمعت خطابك، وسمعت كل أكاذيبك، فلا مستقبل للعراق في ظل الاحتلال

- ومن أخبرك بأن لا مستقبل لكم، لقد جئنا من أجلكم، من أجل رفاهيتكم وازدهاركم

- ألم أقل لك بأنك كذاب كبير، لقد عدت عبر الزمن من المستقبل تاركا بلدي في حالة من الضياع، لقد قمتم بجلب كل المجرمين وقطاع الطرق ومن جميع دول العالم إلى بلدي لكي تقضوا على بلدي

- عن أي قطاع طرق ومجرمين تتكلم

- عن صنيعتكم داعش

- ماذا تقول أيها المجنون، ارتفع زجاج السيارة واختفى وجه برايمر وراء قطعة سوداء كسواد مستقبل العراق

في داخل سيارته، نظر برايمر إلى معاونيه قائلا لهم بأن هذا الشخص خطير جدا فلقد اطلع على مخططاتنا المستقبلية وربما سيفسدها

في لحظات من الترقب استدارت السيارة الأخيرة من موكب برايمر نحوي، من إحدى نوافذها برزت بندقية اختفى خلفها أحد المرتزقة، ساد المكان صمتا مطبقا أعقبه أزيز رصاص كثيف، لم أستطع حينها أن اعرف كم رصاصة اشتاقت لي لكنني كنت أتمنى ان لا تطيش إحداهن، قبل أن يلامس جسدي الأرض، احتضنني ابي وقد طبع قبلة على جبيني قائلا

انا فخور بك يا ولدي

صدرت للمؤلف

- قصائد هاربة مجموعة شعرية
- خلف أسوار الطين مجموعة شعرية طبعة ثانية
- دموع الغيث مجموعة شعرية
- ليلة شهرزاد الأخيرة مجموعة قصصية
- أسئلة الليل مجموعة شعرية
- سارق الغنم مجموعة قصصية